

جهوده العملية: قسم الاتصال بالعالم الإسلامي: أنشأ الأستاذ البنا قسم الاتصال بالعالم الإسلامي، ليكون همزة وصل بين الجماعة والعالم الإسلامي. عمله مع طلبة الأزهر المبتعثين، مع الشيخ الحامد.

موضوع اليوم حسن البنا ووحدة الأمة، من الأمور التي سلّم الجميع بها لحسن البنا، فلم يختلف عليها أحد من أنصاره أو خصومه، من محبيه أو مبغضيه، المتفقين معه أم المخالفين له، بل ربما برر المخالفون له في فكره عند نقده بهذا الأمر، فمن نقد البنا من المخالفين في تقصيره في أي جانب من جوانب الدعوة، عزا ذلك إلى اهتمامه بتجميع الأمة، ولم الشمل، وحشد الصف، تحت راية الإسلام، فمن اتهمه بأنه لم يكن متعمقا في العقيدة، وأنه كان لا يميز بين أفراد جماعته، ولا يولي هذا الجانب اهتماما كبيرا، عزا ذلك إلى أنه كان مشغولا بتوحيد الأمة وجمع كلمتها، ومن اتهمه بعدم اهتمامه بتعميق الجانب العلمي الشرعي في جماعته عزا ذلك إلى أنه لم يكن عالما يسعى لإنشاء جماعة غايتها: تخريج العلماء، إنما هو داعية، ركز جهده في توعية الناس بالإسلام العام، وجمع الناس على كلمة سواء تحت مظلة الإسلام، وهكذا، في معظم الاتهامات الموجة لحسن البنا وبخاصة التي تمس الجانب العلمي الشرعي ستتصبب الأسباب فيها لهذا السبب غالبا، على ما في هذه النظرة القاصرة من ظلم لحسن البنا،¹ مما يجعلني أقول: لم يختلف أحد على أن حسن البنا كان اهتمامه الأول جمع حبات العقد الذي انفرط من وحدة الأمة الإسلامية.

¹ هذه نظرة قاصرة لحسن البنا من حيث كونه عالما، وقد ساهم فيها بنصيب أكبر متبعوه أكثر ممن جهلوه من أصحاب الأفكار الأخرى، فحسن البنا كان عالما بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فقد اكتشفت عند جمعي للأعمال الكاملة لحسن البنا حوالي (1300) ألف وثلاثمائة مقال، تجمع فيما لا يقل عن اثني عشر مجلدا، يحتل القسم الشرعي منها: تسعين في المائة، في كل نواحي العلوم الشرعية، تدل على أن للرجل منهجا واضحا في كل علم، وفيها تجديد سبق إليه علماء عصره، ونظرات ورؤى وصل إليها في سن الشباب.

كان رحمه الله يعلن بين الناس دوماً أن: سنقاتل الناس بالحب، وكان يوضح لأتباعه وتلامذته أنهم مطلوب منهم حتى ينتصروا أن يتسلحوا بثلاثة أنواع من القوة: قوة العقيدة، وقوة الساعد والسلاح، وقوة الوحدة. وكان يسمي الخلاف والفرقة: اللغم في بناء الجماعات.²

وقد كان مشروع البنا لوحدة الأمة يتجه إلى جهات الأمة باختلاف ألوانها وثقافتها، وسوف أركز على محاور ثلاثة وجه حسن البنا مشروعه لوحدة الأمة إليها، 1- إلى الأمة الإسلامية بوجه عام. 2- الأسس التي وضعها حسن البنا للوحدة بين الجماعات الإسلامية. 3- الأسس التي وضعها للوحدة مع عناصر الأمة المختلفة من غير المسلمين.

أولاً: على مستوى الأمة العام وبخاصة عوامها:

فقد وجه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله خطابه الدعوي في بادئ الأمر داعياً إلى الوحدة حول الهدف الأسمى، وهو الإسلام، والغاية الكبرى، وهي الدعوة إليه، وأن يعيش الناس بالإسلام، متفهمين فيه، متمسكين بأحكامه وتعاليمه، وأن يعيشوا للإسلام، التزاماً، وعملاً، ودعوة إليه، ويتمثل خطابه هنا خاصة إلى جمهور الأمة العريض، وبخاصة عوام الأمة، وقد ركز مشروعه في وحدة الأمة على هذه الأسس والركائز:

1. التركيز على أهمية الوحدة والإخاء: وذلك ببيان أهمية الأخوة الإسلامية، وقيمة الوحدة على هذا الدين، وقد كتب في ذلك عدة مقالات، ولم تخل رسالة من رسائل حسن البنا، أو مجلة من مجلاته من التركيز على هذا المعنى،

² عنوان مقال حسن البنا يشرح فيه حديثاً ينهى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن المراء والجدال، انظر: مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) في العدد السادس من السنة الرابعة الصادر في يوم الثلاثاء الموافق: 28 من صفر سنة 1355هـ. 19 من مايو سنة 1936م. نقلاً عن: نظرات في السنة والسيره للإمام البنا، بتحقيق عصام تليمة. تحت الطبع. وانظر: من تراث الإمام البنا (العقيدة والحديث) ص: 253-256. تحقيق: مركز البصائر للبحوث.

2. الاهتمام بما اهتم به القرآن³:

كما تعامل البناء في قضايا الدعوة الشائكة أيضاً بمعيار القرآن وأسلوب القرآن، فلم يكن يضخم قضايا صغيرة على حساب القضايا الكبرى، وكان كذلك يتبني منهج القرآن وهو الدعوة لوحدة الصف، والاتفاق على الحد الأدنى من المسلمات، والتعامل مع المخالفين بمبدأ الائتلاف لا الاختلاف، والتوحد لا التفرق، نرى هذا في موقفه عندما حُكِّمَ في قضية صلاة التراويح هل هي ثماني ركعات أم عشرون ركعة؟ وما الأفضل؟ ووجد الإمام الشهيد أن الترجيح هنا لن يحل المشكلة، بل سيزيد من الخلاف، فقال: فليُصَلِّها كلُّ منكم في بيته كما شاء، فإن التراويح سنة، ووحدة الصف والإخاء فريضة. وهكذا كان حسن البناء في معظم قضايا الخلاف.

3 عدم إثارة الموضوعات التي تثير الفرقة والخلاف:

والأساس الفكري الثالث في هذا: ألا تثار بين العوام الموضوعات التي تشوش عليهم فطرتهم، وعقيدتهم الصافية، حيث إن عقولهم لا تستوعب الموضوعات التي تخوض في علم الكلام، وتفاصيل العقيدة من حيث الخلاف الطويل الذي ثار بين مذهب السلف والخلف في آيات الصفات وأحاديثها، فهي أولى بأهل العلم وطلبتها، من أن تذاع بين الناس، فهي لا تثبت عقيدة، بل ربما أثارت البلبلة في نفوسهم، فهي أقرب للمختصين منها إلى عوام الناس، وفي هذا يقول الإمام الشهيد معقبا على إثارة هذه الموضوعات، وطرحها على العوام:

(هذه بحوث دقيقة أولى بها أن تكون بين أهل العلم في حلقهم الخاصة، ومجالسهم المحصورة، وأذكر الفريقين بما رواه البخاري في صحيحه عن علي كرم الله وجهه: "حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟"⁴.

³ لمزيد من التفصيل حول هذا العنصر، انظر: في فقه الأولويات للدكتور يوسف القرضاوي ص 95-97. طبعة مكتبة وهبة الثانية.

وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".⁵

فإن كان ولا بد من الكلام في هذه المباحث: فليكن ذلك في قول لئين، وفي بحث هادئ، حتى لا تسري عدوى الخلاف والتهاثر من الخاصة إلى العوام، وفي ذلك فساد كبير، كما هو مشاهد في البلاد التي تشتد فيها العصبية لبعض الآراء، أقول هذا وأنا أعلم ما سيقال حول هذا الكلام، من أن العقيدة أساس كل إصلاح، وأن دين الله تبارك وتعالى جليّ واضح لا خفاء فيه، ولا يليق أن يكتم فيه شيء عن جميع الناس، وبأن هذه خصومة في الحق وهي جائزة، وهذا هو الغضب لله وهو فضيلة، وهذا دفاع عن دينه وهو واجب، وهذا من الجهاد بالقول والقلم والقعود عنه إثم، فكيف يُراد منا بعد هذا أن ننصرف إلى إصلاح جزئي والعقيدة فاسدة؟ وكيف يراد منا أن نجعل هذا الكلام خاصا، ودين الله عام للناس جميعا؟!

وأحب أن أقول لمن يدور بفكره، أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول: احترس أيها الأخ من خداع الألفاظ، ومزالق الأسماء، فالعقيدة شيء، والخلاف في بعض المسائل التي لا يمكن لإنسان أن يعرف حقيقتها شيء آخر، وأحكام الدين التي هي عامة للناس جميعا شيء، والأسلوب التي تؤدي به وتقدم للناس شيء غيرها).⁶

⁴ رواه البخاري موقوفاً في كتاب العلم برقم (127).

⁵ رواه مسلم في المقدمة موقوفاً.

⁶ نشرت في مجلة (المنار) الشهرية في العدد الخامس من المجلد الخامس والثلاثين الصادر في غرة جمادى الآخرة سنة 1358هـ. 18 من يولييه سنة 1939م. نقلا عن: في صميم العقيدة للإمام حسن البناء بتحقيق: عصام تليمة. ص:

ثانياً: على مستوى الجماعات الإسلامية:

واتجه مشروع حسن البنا لوحدة الأمة إلى عنصر هو أهم العناصر على الإطلاق، وهو الجماعات الإسلامية، ورجال العلم من الأزهر الشريف، وهيئة كبار العلماء، وكل معني بأمر الدعوة الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي بوجه عام، فوضع أسسا تحترم الخلاف في الرأي، وتعضد الوحدة الإسلامية بين الجماعات الإسلامية وأفرادها، وقد ظل يهتف حسن البنا طوال حياته الدعوية القصيرة بالوحدة بين الجماعات العاملة للإسلام، بل نص على ذلك في ورقة كان يحفظها الإخوان في عهده، تحت عنوان: (عقيدتنا) فجاء في بعض فقراتها ما يلي:

6 - أعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعاً، وأتعهد: بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم.⁷

5 - الهيئات النافعة توجه إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها.

6 - يرحب الإخوان بكل فكرة ترمي إلى توحيد جهود المسلمين في سائر بقاع الأرض، وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية كأثر من آثار اليقظة الشرقية.

7 - الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية، ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائل، ويعتقدون: أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم، وهم يناوئون كل هيئة تشوه معنى الإسلام، مثل: البهائية، والقاديانية.⁸

⁷ انظر: مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية العدد (2) من السنة الثانية الصادر في يوم 26 من محرم سنة 1353هـ. 10 من مايو سنة 1934م، وانظر: مذكرات الدعوة والداعية ص 197. والكتاب أصله مقالات للإمام البنا جمعت، وكانت تنشر تحت عنوان: مذكرات عن الدعوة والداعية، ولا شك أن العنوان الذي وضعه البنا أبلغ من العنوان الذي وضعه من نشروا الكتاب بعد وفاته.

⁸ انظر: مذكرات الدعوة والداعية ص 219، 220.

وكتب تحت عنوان مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) . وهي أولى مجلات الإخوان . معرّفاً بتوجه المجلة وهدفها فقال: وهي لسان حال جمعيات الإخوان المسلمين، وتخدم كل هيئة تعمل لرفعة الإسلام، وإعادة مجده.

وكان رئيس التحرير: طنطاوي جوهري، ومدير التحرير: محب الدين الخطيب، ومحرر القسم الديني: حسن البنا. وجعل شعار المجلة فوق العنوان قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة).⁹

كما وضع حسن البنا بعض الأسس الفكرية التي تعين على إقامة هذه الوحدة بين الجماعات الإسلامية، ومن هذه الأسس:

1. الخلاف الفقهي لا يعني التفرق الديني:

وأول هذه الأسس: أن الخلاف الفقهي في الفروع لا يعني بحال من الأحوال أن تتفرق الأمة فرقا وشيعا، وأن هذا الخلاف علامة صحة في الأمة، وثروة، وسعة، فقد ذكر الأستاذ البنا رحمه الله أهم أسباب الخلاف الفقهي وأبرزها وخلاصة هذه الأسباب:

1. اختلاف العقول في قوة الاستنباط، وإدراك الدلائل، والغوص على أعماق المعاني، وارتباط الحقائق بعضها ببعض. والدين آيات وأحاديث ونصوص، يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها، والناس في ذلك جدّ متفاوتين، فلا بد من خلاف.

2. ومنها: سعة العلم وضيقة، وأن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك، والآخر شأنه كذلك.

⁹ انظر: مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) العدد الأول من السنة الأولى الصادر في يوم الخميس الموافق 2 من صفر سنة 1352هـ. وبقيّة أعداد المجلة.

3. ومنها: اختلاف البيئات، ولهذا رأينا فقه العراقيين يختلف عن فقه الحجازيين، بل رأينا الفقيه الواحد تختلف به البيئة فيختلف رأيه.

4. ومنها: اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقي لها. فبيننا نجد هذا الراوي ثقة عند هذا الإمام، تطمئن إليه نفسه، وتطيب إليه نفسه، وتطيب بالأخذ عنه، تراه مجروحا عند غيره لما علم من حاله.

5. ومنها: اختلاف تقدير الدلالات، فهذا يعتبر عمل الناس مقدا على خبر الأحاد مثلا، وذاك لا يقول معه به.. وهذا يأخذ بالحديث المرسل، وهذا لا يأخذ به.

ثم يقول الإمام الشهيد: "كل هذه الأسباب جعلتنا نعتقد: أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بله هو يتنافى مع طبيعة الدين، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور، ويماشي الأزمان، وهو لهذا سهل مرن، هين لين، لا جموع فيه ولا تشديد.

"نعتقد هذا، فنلتمس العذر . كل العذر . لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبدا حائلا دون ارتباط القلوب، وتبادل الحب والتعاون، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ، بأفضل حدوده، وأوسع مشتملاته. ألسنا مسلمين وهم كذلك؟ ألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك؟ أولسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ فقيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالا للنظر عندهم كرأيهم عندنا؟ ولماذا لا نتفاهم في جو من الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم؟

هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخالف بعضهم بعضا في الإفتاء فهل أوقع ذلك اختلافا بينهم في القلوب؟ وهل فرق وحدتهم؟ أو فرق رابطتهم؟ اللهم لا. وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد.¹⁰

¹⁰ انظر: مجموعة الرسائل ص 357.

2. الخلاف في الرأي لا يمنع التحقيق العلمي النزيه:

ورغم احترامه للخلاف في الرأي، إلا أن هذا الخلاف لا يمنع من التحقيق العلمي النزيه للقضايا التي مثار خلاف فكري وفقهي بين الجماعات بعضها بعضا، بل إن التحقيق والحوار العلمي مما يزيد من التماسك بين الجماعات بعضها البعض، ويقرب وجهات النظر، وأدعى للتوحد، وإعذار الجميع لبعضه، يقول الإمام البنا في الأصل الثامن من أصوله العشرين: (والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف، في ظل الحب في الله، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب.¹¹

3 لم يلزم بمذهب فقهي معين:

ومن الأسس الفكرية لوحدة الأمة عند البنا: أنه لم يلزم جماعته بمذهب فقهي معين، ليفتح بذلك الباب أمام الجميع، ليعتق كل فرد في الإخوان المذهب الفقهي الذي يميل إليه، ويتعبد إلى الله عز وجل في الأمور الفقهية بما يقتنع به، ولم يمل إلى تبني مذهب فقهي بعينه يدعو الناس لاتباعه، بل ترك لكل ما يقتنع به، شريطة أن يكون ذلك اتباعا لا تقليدا، وأن يتعرف الإنسان على أدلة الرأي أو المذهب الذي يقتنع به فقال رحمه الله في الأصل السابع من أصوله العشرين: (ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته. وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر).¹²

ولذا وُجد في الإخوان المسلمين أتباع لكل المذاهب الإسلامية الفقهية، فجمعت تحت مظلتها: الحنفي المذهب كما في مصر وغيرها، والمالكي المذهب كما في دول شمال إفريقيا وغيرها، والشافعي، والحنبلي المذهب كما في معظم دول الخليج، والزيدي المذهب كما في بعض إخوان اليمن، والإباضي المذهب كما في إخوان عُمان.

4. التعاون في المتفق عليه والإعذار في المختلف فيه:

اشتهرت قاعدة نسبت خطأ إلى الإمام الشهيد حسن البناء، وذلك من كثرة ترديده لها، وتبنيه وتطبيقه دوماً لهذه القاعدة، وهي قاعدة (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) وقد نسبت إليه هذه القاعدة، ولكنها من وضع العلامة المجدد محمد رشيد رضا، وهي قاعدة المنار الذهبية.¹³

وقد كان حسن البناء يطبقها بين الجماعات الإسلامية خاصة، وبين المسلمين عامة، فيتعاون في المتفق عليه، وهو كثير لا حصر له، وعند المسائل المختلف فيها يعذر صاحب الرأي المخالف، ولا يعنفه، ولا يجرح فيه وفي رأيه.

5. وضع دستور فكري بين الجماعات:

كما سلك البناء لوحدة الأمة سبيلاً عملياً هاماً، وهو أن صاغ دستوراً للوحدة الثقافية بين الجماعات العاملة للإسلام، في عشرين مبدأً، سماها بالأصول العشرين، لتكون وثيقة تعاون بين الجماعات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة، فكتب يخاطب شيخ الأزهر وعلماء الإسلام، ومسؤولي الجماعات الإسلامية، في مقال تحت عنوان: (في سبيل الوحدة.. آراء ومقترحات) يقول:

¹³ انظر لتأصيل هذه القاعدة وشرحها وتطبيقها: فتاوى معاصرة للدكتور يوسف القرضاوي (130/2-139) طبعة دار الوفاء الثالثة.

إلى فضيلة شيخ الأزهر، وهيئة كبار العلماء الموقرة، وإلى رجال الجماعات الإسلامية والفكر الإسلامي:

فكرت طويلاً في هذا الخلاف العلمي بين الجماعات الإسلامية في مصر أولاً ثم في بلدان العالم الإسلامي ثانياً، وتلمست طويلاً السبيل إلى جمع القلوب حول هدف أسمى، تلتقي عنه الأرواح المؤمنة، وتتجه إليه الجهود العاملة، وتقوم على أساسه النهضة المنتظرة.

إن الإسلام دين وحدة واجتماع، وكل آيات القرآن الكريم، وكل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فيأضة بمعنى الوحدة، والدعوة إلى الوحدة، وبيان أن المؤمنين إخوة، وأن بعضهم أولياء بعض، وما كان المسلمون الأوائل أقوياء إلا بهذه الدعوة الشاملة التي جمعت قلوبهم وعقولهم حول هدف واحد، فتوحدت بذلك مظاهرهم، وأعمالهم، وجهودهم، وكانت حياتهم مثلاً رائعاً للأمة الموحدة.

إن الخلاف قد يتناول فروع الأعمال والعبادات ولا يرقى إلى مرتبة العقيدة وصميمها، وهذا الخلاف لا يجرج الصدر، ولا يؤذي وحدة، وأمره دائر بين خطأ وصواب، فإذا عرفنا أن المخطئ والمصيب مأجوران، هان الخطب، واستطعنا. في ظل الإخاء والحب. أن نصل إلى الحقيقة، واستطاع حكم الحاكم الشرعي أن يرفع الخلاف.

ومن الخلاف ما يتصل بالعقيدة وصميمها، وأغلب ما بين الجماعات الإسلامية في مصر خاصة من هذا النوع، مصدره: عدم تحديد العبارات، وعدم تعرف المقاصد جلياً، والجمود على عبارات ومصطلحات لم يتعبدنا الله بالجمود عليها.

وقد أردت أن أضع أمام أنظار المفكرين من رجال الإسلام هذه (الصيغ) والبنود التي أعتقد أنها تقرب إلى أقصى حد بين وجهات النظر المختلفة، مع

موافقتها للحق إن شاء الله. رجاء أن يطيلوا فيها النظر، فإذا رأوها صالحة لجمع الكلمة، اتخذنا منها أساساً للأخوة، وجمعنا عليها شعب الخلاف، ورددنا المتفرقين إلى هذا الأصل.

وإلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وهيئة العلماء الموقرة أولاً . باعتبار أن الأزهر هو الهيئة المسؤولة رسمياً عن تمحيص الحقائق، وإرشاد الناس . ثم إلى رجال الفكرة الإسلامية فرادى وجماعات أوجه القول.¹⁴

ولما خاطب حسن البنا أفراد جماعته بهذه الأصول العشرين قال مبيناً أهميتها ومكانتها في دعوة الإخوان المسلمين: (فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسيتها فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، ويموتوا في سبيلها. وهي ليست دروساً تحفظ، لكنها تعليمات تنفذ. فإلى العمل أيها الأخوة الصادقون (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة: 94، (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام: 153.¹⁵

لقد كان حسن البنا رحمه الله رجلاً موفقاً، ألهمه الله ووفقه للصواب في كثير من دعوته، وبخاصة في صياغة عبارات الأصول العشرين، وإذا تأملنا صياغته لهذه الأصول نجده حرص أشد الحرص على وحدة الأمة، وعدم الميل إلى أي صياغة

¹⁴ انظر: مقال (في سبيل الوحدة.. آراء ومقترحات) لحسن البنا المنشور في العدد الثاني من السنة الأولى لمجلة (الإخوان المسلمون) النصف شهرية، الصادر في يوم السبت الموافق غرة رمضان سنة 1361هـ . 12 من سبتمبر سنة 1942م. وقد اجتهد تلميذان من تلامذة الإمام البنا في إضافة إلى الأصول العشرين، وهما: الشيخ محمد الغزالي في كتابه (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) فأضاف مقررات عشر عليها. والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (الإسلام والعلمانية وجهها لوجه) فأضاف عشرين مقراً.

¹⁵ انظر: مجموعة الرسائل ص 355.

تكون سببا للخلاف والتفرقة، ففي تناوله لقضية التقليد للأئمة . مثلا . واتباع المذاهب، وهي قضية خلافية بين من يوجب التقليد، ومن يحرمه، وفريق ثالث وهو ما تبنى رأيه الإمام البنا، وهو القائل بأن التقليد والاتباع يجوز لقوم، ويحرم على آخرين، وفي هذا يقول الإمام البنا في الأصل السابع من الأصول العشرين: (ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الشرعية: أن يتبع إماما من أئمة الدين، ويحسن به أن يتعرف أدلته ما استطاع، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر).¹⁶

فنلاحظ أن الإمام البنا بدأ هذا الأصل بقوله: (لكل مسلم) ولم يقل: على كل مسلم، لأن اللام هنا تفيد حكم الجواز، وأما على فهي تفيد الوجوب، وهي قضية خلافية في الالتزام والتقليد للمذاهب، والراجح فيها الجواز. ومن محاسن صياغة الأستاذ البنا لهذا الأصل: أنه لم يعبر عن الموضوع بعبارة (التقليد) ولكن بعبارة (الاتباع) فقال: أن يتبع إماما من أئمة الدين.

وكلمة الاتباع هنا أولى من كلمة التقليد، والقرآن استعمل كلمة الاتباع فيما يحمد ويشرع، كما في قول إبراهيم لأبيه (يا أبت إنني قد جاعني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا) مريم:43.

فدلت الآية: أن الجاهل يتبع العالم فيما لا يعلمه بنفسه.

وكذلك ترى في قصة موسى مع العبد الصالح المعروف باسم (الخضر)، فقد قال تعالى عن موسى وفتاه: (فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه

¹⁶ انظر: مجموعة الرسائل ص 357.

من لدنا علما. قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟
الكهف: 65، 66.¹⁷

وفي تناوله لمسألة التوسل إلى الله عز وجل لأحد من خلقه، وهي قضية خلافية، وعلى الرغم من أن حسن البنا له رأي في التوسل واضح، وهو وبخاصة التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أجازة حسن البنا، في فتوى له، مستشهدا بحديثين ضعيفين،¹⁸ ومع ذلك لما صاغ الأصل السادس عشر من الأصول العشرين وهو يخص التوسل، لم يميل إلى ترجيح رأي، عملا بهدفه من وضع الأصول العشرين، وهو جمع الأمة، وصياغة العبارات التي تُولف وتجمع، ولا تشتت وتفرق. فقال رحمه الله: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فقهي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة).¹⁹ وهو نفس رأي الأئمة الكبار، وبخاصة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إذ يقول: (فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه. فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد).²⁰

5. تحرير موضع النزاع:

ومن الأسس الفكرية التي كان يحرص عليها حسن البنا رحمه الله وهي جد مهمة في وحدة الأمة فكريا وعمليا، أنه يحزر موضع النزاع، عند تناول القضايا

¹⁷ انظر: كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف للدكتور يوسف القرضاوي ص 71-74 بتصرف شديد.

طبعة مكتبة وهبة الأولى.

¹⁸ انظر: في صميم العقيدة للإمام حسن البنا بتحقيق: عصام تليمة. ص 203، 204.

¹⁹

²⁰ انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الثالث الفتاوى ص 68. نقلا عن (مدخل إلى ترشيد العمل

الإسلامي) للدكتور صلاح الصاوي ص 21.

المثارة بين الجماعات الإسلامية، ومن هذه القضايا قضية اشتد الخلاف فيها في الثلث الأول من القرن العشرين، بين فريقين، الفريق الأول: يمثله مجلة (الهدى النبوي) التي تصدرها جماعة أنصار السنة، والفريق الآخر: يمثله مجلة (الأزهر) وهو يمثل المذهب الأشعري الذي يتبناه الأزهر، وقد طلب من حسن البناء بعد توليه إصدار مجلة (المنار) خلفاً للعلامة محمد رشيد رضا، فسئل عن هذا الخلاف الدائر حول آيات الصفات وأحاديثها، وأي الفريقين على صواب، وأيها على خطأ؟ فقال حسن البناء مبيناً أوجه الاتفاق قبل أن يبين فيم اختلف الفريقان:

(إن الفريقين مؤمنان أعمق الإيمان بأن ما جاء من هذه الآيات، وما صح من الأحاديث التي تعرضت لصفات الباري عز وجل؛ كلها حق لا جدال في صدقها ولا خلاف، فقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) طه: 5 و(يد الله فوق أيديهم) الفتح: 10 و(كل شيء هالك إلا وجهه) القصص: 88 و(وهو القاهر فوق عباده) الأنعام 61، 18 وكل ما نحا هذا المنحى من الآيات والأحاديث التي ثبتت صحتها فنياً، كل ذلك موضع إيمان وتصديق وتسليم من الفريقين كليهما.

الفريقان كذلك مؤمنان أعمق الإيمان بأن قوله تعالى: (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) الشورى: 11 وقوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد) الإخلاص: 3 كل ذلك حق لا مرية فيه، فلا يشبه الباري أحد من خلقه في شيء من صفاته، ولا يشبهه أحد من هؤلاء الخلق كذلك.

وحقيقة الثالثة يؤمن بها الفريقان أيضاً، وهي: أن ذات الباري جل وعلا وصفاته فوق متناول إدراك العقل البشري الصغير؛ الذي يعجز عن معرفة حقائق ما

حوله من عالم الحِسِّ، فضلا عن عالم الرُّوح، فضلا عن الملاّ الأعلى، فضلا عن ذات الله جل وعلا وصفاته.²¹

ويقول في مقام آخر: (أعتقد أيها الإخوان أنه لو حددت العبارات، وتعرف كل فريق على مقاصد الآخر، ولم يتقيد عبارات ومصطلحات خاصة، ما دام المعنى المقصود سليما، أعتقد أننا لو فعلنا ذلك، وحاولنا التقريب بين وجهات النظر لاستطعنا الجمع بين الآراء المتنافرة، والفكر المتخالف، ولوصلنا إلى نتيجة محمودة، أقلها أن نخرج من حيز (كفر وإيمان) إلى حيز (خطأ وصواب).²²

ولم يكتف بذلك بل وضع صيغة توافقية تقرب وجهتي النظر بين المختلفين، في قضية آيات وأحاديث الأسماء والصفات، يقول الإمام البنا رحمه الله: (هذه الحقائق المقررة، والمُسلّم بها من الطرفين؛ تجعل الخلاف لا معنى له، فماذا على كل منهما لو قال: "استوى الله على عرشه؛ استواء تعجز عقولنا عن إدراك حقيقته، مع علمنا بأنه لن يكون كاستواء الخلق"؟! وبذلك نردُّ علم الحقائق لله تبارك وتعالى، ونصيب بذلك الحق كُلَّ الحق، لأن الحق هو أننا في هذه جهلاء أتم الجهل.

وماذا علينا لو سلكنا هذه الطريقة في كل ما ورد على هذا النحو: "فيد الله التي ذكرها في كتابه: صفة من صفاته، تعجز عقولنا عن إدراك حقيقتها، مع علمنا التام بأنها لن تكون كأيدينا" وهكذا؟!²³

²¹ نشرت في مجلة (المنار) الشهرية في العدد الخامس من المجلد الخامس والثلاثين الصادر في غرة جمادى الآخر سنة 1358هـ. 18 من يولييه سنة 1939م. نقلا عن: في صميم العقيدة للإمام حسن البنا بتحقيق: عصام تليمة ص. طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية الأولى.

²² انظر: حديث الثلاثاء للإمام الشهيد حسن البنا جمعه: أحمد عيسى عاشور. ص 508. طبعة دار القرآن بالقاهرة.

²³ نشرت في مجلة (المنار) الشهرية في العدد الخامس من المجلد الخامس والثلاثين الصادر في غرة جمادى الآخر سنة 1358هـ. 18 من يولييه سنة 1939م. نقلا عن: في صميم العقيدة للإمام حسن البنا بتحقيق: عصام تليمة ص. طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية الأولى.

6. تفويت الفرصة على أعداء الأمة في التفريق:

كما كان يدعو الأمة الإسلامية إلى تفويت الفرصة على المفرقين للأمة، ووضع فتيل الفرقة والخلاف، وكان البناء نفسه يفوت الفرصة على المفرقين، وبخاصة عندما يريد السائل من وراء ذلك تفضيل جماعة على جماعة، فقد سئل حسن البناء: ما الفرق بينكم وبين الجمعية الشرعية؟

قال: هم في الخيامية، ونحن في الدرب الأحمر.

وسئل: ولكنهم يبنون المساجد.

فقال: ونحن نملاًها بالشباب ليصلي فيها.

7. اعتبار الجميع على خير:

ومن الأسس التي تبناها حسن البناء: أن كل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية على خير، وأهدافهم نبيلة، فإذا دب الخلاف بينه وبين أحدهم، أو بين جماعته، أو اختلف معه فصيل من فصائل العمل الإسلامي، لا يدعوه ذلك للقطيعة، بل يمد يد العون والتقارب دوماً، فقد نقد جماعة (شباب محمد) حسن البناء وجماعته نقداً عنيفاً، وقد كانوا من الإخوان ثم انشقوا عليها، يحكي الأستاذ عمر التلمساني عن رد فعل البناء تجاه هذا النقد الحاد، بل الانشقاق العنيف، فيقول: ويوم أن انشق بعض الإخوان، وخرجوا من الجماعة، وسموا أنفسهم شباب محمد، لم يثر عليهم، ولم يقاطعهم، ولم يوزع عليهم الشبهات، ولم يؤلب أحداً عليهم، ولكن تصرف معهم التصرف الذي لا يتصرفه سواه في مثل هذا الموقف.

اتخذ شباب محمد له مقراً، وأعد دفاتر للاشتراك في صفوفه. فكان الإيصال الأول (نمرة 1) باسم حسن البناء، ليؤكد لهم أن موقفهم هذا لم يزعجه، وأنه يتمنى لكل عامل في حقل الدعوة الإسلامية أن يوقفه الله لكل ما يحب ويرضى. وما دام هو واثق من نفسه، فلماذا لا يتصرف وهو على بينة من نتائج هذا التصرف؟؟ إنه

التصرف المناسب، تعالى على الصغائر والمهاترات. واكتسب احترام الذين انشقوا عليه، لأنه لم يبدأهم بهجوم ولا ملام.²⁴

7. إحسان الظن بالآخرين وتقدير دوافعهم:

فقد كان يحسن الظن بمن ينقده، ويهاجمه، ويختلف معه في الرأي، ولا يتهم نوايا الناقد الناصح، بأنه حاقد، أو يغار منه على مكانته، أو أنه متشدد متنطع لا يدفعه وراء النقد للأمر إلا ذلك، حتى وإن كان في الأمر فسحة وسعة، واحتمال الصحة في الرأيين، فقد جاء إلى الأستاذ البنا أحد زملائه من خريجي دار العلوم هو الأستاذ (س. سعد) وهو من أروع الناس وأتقاهم، ولكنه غضب كل الغضب لأن الإخوان قد أنشأت فرقا للجوالة والكشافة (تلبس البنطلون القصير) قال الأستاذ (س. سعد): يا حسن أفندي، فأجاب: نعم سيدي.

قال: إني أكرهك.

فابتسم حسن البنا وقال في هدوء وبشاشة: وإني والله أحبك.

فقال الرجل: ولكني أكرهك في الله، لأنكم تكشفون الركبة في ملابس الجوالة والكشافة.

وبالبشاشة نفسها والهدوء أجاب حسن البنا مخلصا: هذا يزيدني حبا فيك.²⁵

8. الحرص على كسب الأشخاص لا المواقف:

كان من أخلاقيات الخلاف والنقد عند البنا أنه يبغى بذلك كسب الشخص لا أن يكسب موقفا، فنفس الموقف السابق الذكر من أحد زملائه من خريجي دار

²⁴ انظر: الملهم الموهوب حسن البنا للأستاذ عمر التلمساني ص 36 طبعة دار الأنصار.

²⁵ انظر: مجلة (الأمة) القطرية العدد (55) الصادر في رجب سنة 1405هـ. نقلا عن: حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه للأستاذ جابر رزق ص 189.

العلوم، وقف ينقده فيه الشيخ محمد الحامد، وبعث له بنقده له، وكان مما أخذه على البناء وجماعته: لبس الجلالة والكشافة الذي يكشف فيه الجوال عن ركبته، ومع ذلك تقبل البناء نقده، واستجاب وأمر بتكريب ركبة على ركبة الجوال تستر الركبة، وقد كان في استطاعة حسن البناء الذي يعلم أن كشف الفخذ فيه حديث صحيح يجيز ذلك، ولكنه خرج من دائرة النقاش والجدل، وتقبل نقد الشيخ الحامد ونقد غيره، وفضل أن يريح الأشخاص أفضل من أن يريح موقفا علميا يكون حاجزا عن حب الناقدين لدعوته، فكان لذلك أبلغ الأثر، كما رأينا في كتابات الشيخ الحامد عن البناء بعد وفاته رحمهما الله.

الجهود العملية لوحدة الأمة مع الجماعات العاملة للإسلام:

علاقته بالجمعية الشرعية:

أمر الإمام البناء بغلق إحدى شعب الإخوان أنشئت في سبك الأحد بالمنوفية، وهي مسقط رأس الشيخ السبكي ومعقل دعوته الأول، وذلك احتراما للرجل وزيادة في توثيق أواصر المحبة معه ومع جماعته. أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين الجزء الثالث ص 334.

حسن البناء والسلفية:

بطبيعته التوفيقية والتي تقوم على التأليف بين القلوب، والتعاون في المتفق عليه، والعدو في المختلف فيه، والبحث عن نقاط الاتفاق التي لا حصر لها، لنلتقي عليها، حرص حسن البناء رحمه الله، وما الأصول العشرين التي وضعها أساسا لفهم في جماعته، إلا مبادئ وضعها للتوحد بين الجماعات الإسلامية العاملة في حق الدعوة، لتكون أساسا مشتركا للعمل البناء.

بداية كانت علاقة حسن البناء بالدعوة السلفية في مصر علاقة فوق الممتازة، فهو لم يصطدم بها، ولا بدعاتها، بل كان منذ بداية إنشاء جماعة الإخوان المسلمين

على وفاق تام بعلمائها، بل وصل الوفاق إلى تعاون لم نجده على مر العقود في العلاقة بينهما فيما بعد وفاة البنا، فقد بلغ التواصل والتعاون في العمل الدعوي بين حسن البنا وكبار دعاة السلفية في مصر، أن جعل مدير أول مجلة للإخوان المسلمين، وهي (مجلة جريدة الإخوان المسلمين) التي أنشأت سنة 1352هـ، الأستاذ محب الدين الخطيب، صاحب المطبعة السلفية، وكانت تطبع في مطابع المطبعة السلفية، وجعل البنا المكاتبات والمراسلات وإيصالات الاشتراك فيها على عنوان الأستاذ محب الدين الخطيب بالمطبعة السلفية. وظلت المجلة ثلاث سنوات إلى أن اشترى الإخوان مطبعة خاصة بهم، يطبعون فيها مجلتهم. ولما اشترى الإخوان مطبعة لهم، كتب حسن البنا يقول: من مطبعتنا إلى مطبعتنا، ولم يقل: انتقلنا إلى مطبعتنا، وينسى فضل المطبعة السلفية عليه وعلى جماعته.

كما كان الأستاذ محب الدين الخطيب يستكتب الأستاذ البنا في مجلاته: الزهراء، والشبان المسلمين، والفتح، ويدعوه لمحاضرات عامة في جمعية الشبان المسلمين، وقد عرف به القراء في محاضرة البنا عن (أضرار المقامرة) بهذا التعريف: محاضرة ألقاها في نادبة جمعية الشبان المسلمين حضرة الأستاذ المخلص العمل لله والفضيلة والإصلاح حسن أفندي أحمد البنا. وقد نشرها في افتتاحية مجلة (الفتح). بل إن أول من قدم حسن البنا للناس عالما وداعية هو العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله، فكتب بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس جماعة الإخوان المسلمين: (لقد كنت ابن صنعة يوم اكتشفت بيني وبين نفسي حاجة الإسلام إلى هذا الداعية القوي، الصابر المثابر، الذي يعطي الدعوة من ذات نفسه ما هي في حاجة إليه من قوة ومرونة ولين وجلد وصبر وثبات إلى النهاية.²⁶

²⁶ من مقال للأستاذ محب الدين الخطيب في مجلة الفتح بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، في مجلة الفتح في العدد () المنشور في.

ولما توفي الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، نعاه حسن البنا بنعي نشر في مجلة الإخوان، فقال فيه:

ولم تجد أسرة الشيخ رشيد رضا من يخلفه في إصدار مجلة (المنار) وهي ركن ركين في التعبير عن الفكر السلفي في مصر، إلا الشيخ حسن البنا، فعهدت إليه بإصدار المجلة في سنة 1939م، وقام البنا بإصدارها فأصدر منها خمسة أعداد، ولم تسمح الحكومة المصرية آنذاك للبنا بإتمام صدور المجلة، فتوقفت.

علاقته بالصوفية:

(إن أنس لا أنس موقفه رضوان الله عليه في أمسية مشهودة بمدينة طنطا في دلتا مصر، وقد احتشد أمامه قرابة أربعين ألفاً من فئات الناس، بينهم جمهرة من أتباع عدة طرق صوفية درج بعضهم على النفرة من طابع الحركة المتحمسة، كأنهم يرونه يجافي وداعة معنى العبادة على ما لقنوه وتحدد مفهومهم به، فإذا به بعد استرسال روعي خالج غائر النفوس في صفاء ويسر، يقول لمستمعيه فجأة في إشراقه كأنه السحر: ألا تعجبون من أخوتنا العبّاد الذين لا ينقطعون عن تلاوة دعاء الشيخ أبي الحسن الشاذلي في حزب البر، ويرددون من ذلك دائماً: "اللهم وارزقنا الموتة المطهرة"... ماذا تراهم يستحضرون في معنى الموتة المطهرة؟ ألا إن أظهر موتة يحبها الله هذه... ورفع يده فمر بها على رقبتة إشارة إلى قطع الرقاب في سبيل الله عز وجل... فكأنما والله مست الناس كلهم كهرياء واستعلن أمامهم مشهد الفداء والذبح رأي العين... فسالت دموع، وثارت عواطف، وتعالق هتافات!²⁷

وفي مرة من المرات ذهب لزيارة قرية (العزيفية) من قرى محافظة الشرقية بمصر، ووقف أمام الألوفا المحتشدة، فسكت سكتة طويلة أجال خلاله عينيه في

²⁷ انظر: مقال (بعد ستة عشر عاماً) للأستاذ سعيد رمضان المنشور في مجلة (المسلمون) الشهرية، العدد الخامس من المجلد التاسع الصادر في شوال سنة 1384هـ. فبراير (شباط) سنة 1965م.

عيونهم، ثم قال: "أيها الإخوة الأحباب، لم أجنكم الليلة خطيبا، وإنما جننتكم خاطبا..
أخطب الحرة الكريمة من أنفسكم!". قالها وسكت سكتة ثانية، ثم لم يخف على أحد
دمعتان كريمتان تألقت بها عيناه، فإذا بك لا تكاد ترى غير عين دامعة حيثما
اتجهت عيناك.²⁸

يقلم الشيخ عصام تليمة

²⁸ انظر: خاطرة (خاطب... لا خطيب!) للأستاذ سعيد رمضان المنشورة في مجلة (المسلمون) الشهرية، العدد الخامس من المجلد التاسع الصادر في شوال سنة 1384هـ. فبراير (شباط) سنة 1965م.

الوحدة مع عناصر الأمة من غير المسلمين:

كما حرص حسن البنا رحمه الله على أن يتجه بمشروعه الإصلاحية، في توحيد الأمة، وتجميع قواها لمواجهة كل عدو يريد النيل من وحدتها، فاتجه إلى بقية الطوائف التي تشارك الأمة الإسلامية في الوطن العربي والإسلامي، من غير المسلمين، وقد اشتهر عن حسن البنا حسن علاقته بغير المسلمين، حتى كان أحد مستشاريه في القسم السياسي لجماعة الإخوان المسلمين مسيحي مصري، وليس أدل على جهد حسن البنا في هذا الإطار من هذا الموقف الذي حدث مع الوطني المصري المسيحي مكرم عبيد باشا، وهو الرجل الوحيد الذي شارك في عزاء حسن البنا بعد اغتياله، ولم يجرؤ أحد على الذهاب للعزاء، حيث كان مصيره إما المنع أو الاعتقال، وقطع هذا التردد، وذهب للعزاء، مكرم عبيد.

ولما خرج سلامة موسى على الناس بمقال يهاجم فيه جماعة الإخوان المسلمين، ويتهمهم بشق الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، اكتفت مجلة (الإخوان المسلمين) النصف شهرية، بمقتطفات من مقاله، ولم ترد عليه، فخرج أكثر من كاتب مسيحي يرد على سلامة موسى، ويفند كذبه واقتراءه على حسن البنا والإخوان المسلمين،²⁹

1. أصول الدين واحدة لا خلاف فيها:

²⁹ كتب سلامة موسى مقاله يهاجم الملك فاروق، ورئيس وزراء مصر، أن سمحا للإخوان المسلمين باستتجار مسرح الأوبرا الملكية لعرض مسرحية من مسرحياتهم، وهي مسرحية (المعز لدين الله الفاطمي) وقد نقلتها الإذاعة المصرية على الهواء، مدعيا بأن الإخوان متعصبون، وضد الوحدة الوطنية، ويضطهدون الأقباط!! انظر: جريدة (مصر) الصادرة في يوم الأربعاء 25 من جمادى الأولى سنة 1365هـ. 1 من مايو سنة 1946م. وانظر: مقالات المسيحيين في الرد على سلامة موسى: مجلة (الإخوان المسلمون) النصف شهرية الصادرة بتاريخ: 16 من مايو سنة 1946م، وما بعدها.

(العالم كله اليوم يسير إلى الوحدة، وكل ما فيه يمهد لها، ويقرب الوصول إليها، والأديان العالمية السماوية الثلاثة: اليهودية، والنصرانية، والإسلام، هي مَعِين الروحانية في العالم المتحضّر كله، ولها من غير شك السلطان الأول على أرواح الإنسانية الراقية المتدنية، ولو اتّحد أهلها واجتمعت كلمتهم، لصار الوثنيون إلى هدي السماء، ولفازت البشرية بوحدة دينية رائعة جليلة تصلها بنور الله الذي يهديها سواء السبيل.

سلك الإسلام إلى هذه الغاية سبيلاً عجباً، هو أنموذج الحق الواضح، والإنصاف العادل، والتواضع الفاضل، والتألف العجيب، والمنطق السليم الدقيق، إنه اتّخذ ملة إبراهيم حدّاً وسطاً، ورضيها في موطن الخلاف حكماً، ووصل نفسه بها، وجعلها له شعاراً ونسباً (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) النحل: 123 (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) الحج: 78 ثم دعا إلى تقديس كل نبيّ سبق، وتصديق كل كتاب نزل، والإيمان بكل وحي على هذه الأرض هبط، واحترام كل شريعة جاء بها رسول من ربّ العالمين، وهو في هذا لم يأت أهل الملتين بجديد، فإبراهيم أبوهم نسباً، ومرجعهم ديناً، وقد آمن إسرائيل بملة إبراهيم من قبل، وآمنوا هم بملة إسرائيل من بعد، وإبراهيم حكم مرضي، فبأيّ حجة يخالفون؟ ولأي معنى يتوقفون؟

واسمع نظم الآيات الكريمة، واملاً بهذا الجرس العجيب أذنك وقلبك: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة: 136، 135.

وانظر كيف يدعو القرآن بهذه الدعوة في غير تحد مثير، ولا عصبية جارحة، ولكن في منطوق هادئ رزين، وإقناع واضح مبين، يكشف للناس عن الحقيقة التي لا مناص منها، وهي أن وحدتهم الروحية لا تتم إلا على هذا الأساس السليم البريء من عصبية الأشخاص والعناصر، العالي عن عالم الأرض وما فيه، لأنه من الله وحده، والله وحده، وأنهم وإن اهدوا بهذا الهدى فقد وصلوا إلى ما يريدون، وإن امتنعوا عليه، فهم في خلافهم سادرون، والله من ورائهم محيط، وتأمل لفظ القرآن في هذا (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) البقرة: 137، 138.

وبهذا القول الفصل، والكلام الجزل، والمنطق العجيب، يحل الإسلام مشكلة الخلاف بين الأديان، ويعلن وحدة العقيدة بين بني الإنسان ما لو كانوا يعلمون.³⁰

2. البر والإحسان بين الناس وإن اختلفت عقائدهم:

يقول الإمام البنا: (ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عصري بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل . قوله تعالى: (لا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) البقرة: 285. وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) المائدة: 8.

³⁰ نشرت في مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية في العدد الأول من السنة الأولى في يوم السبت الموافق 17 من شعبان سنة 1361 هـ . 29 من أغسطس سنة 1942م. انظر: نظرات في كتاب الله للإمام حسن البنا بتحقيق: عصام تليمة. ص: .

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم: (لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) الممتحنة: 8.

كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا). نعم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. ولكننا إلى جانب هذا لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشترىها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنا له خطأ ما ذهب إليه: والله العزة ورسوله وللمؤمنين). رسالة إلى الشباب.

3. تحريم العنصرية والعصبية والطائفية:

وفي هذا يقول الإمام البنا: (فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكننا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بني الإنسان). رسالة إلى الشباب.

الوحدة الكاملة: ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتقانياً في خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً، وها قد علمت إلى أي حد يذهبون في وطنيتهم وإلى أي عزة يبغون بأممتهم . ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية. فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون في سبيله ويفنون في هذا الجهاد لان مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه؟ كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامي، على حين يقف كل وطني مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو

المنافع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده . وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا. رسالة إلى الشباب.

بواعث البنا للوحدة:

1. لأن الله أمرنا بالوحدة:

2. أعداء الأمة لا يعملون فرادى بل جماعات:

3 لا تستطيع جماعة وحدها حمل رسالة الإسلام ونشرها:

ومن الأسس المهمة التي ركز عليها حسن البنا لوحدة الأمة: أنه لا تستطيع جماعة وحدها مهما أوتيت من دقة في الفهم، وتواصل في العمل، وكثرة في الأنصار، من أن تقوم بحمل رسالة الإسلام وحدها، والعمل له، فهو أمر عسير، والإسلام رداء كبير واسع، لا يستطيع فصيل أن يلم بكل أطرافه خاصة في العمل، ولا خلاف في أن الإسلام دين شامل، وليس معنى شمولية الإسلام: شمولية الداعية، أو شمولية الجماعة الداعية للإسلام، وإن حاولت أن تكون شاملة في عملها فلن تلم به كله عملاً وتطبيقاً، وقد أثبتت الأيام صدق هذا المبدأ.

عوامل ومؤثرات في توجه البنا للوحدة:

هناك عوامل ولا شك ومؤثرات كان لها دور كبير في توجه البنا للعمل على وحدة الأمة الإسلامية،

1- عامل ديني: وأول هذه العوامل العامل الديني، وهو أن الإسلام يأمر

المسلمين بالوحدة، وينهاهم عن الفرقة والتشردم،

2. عامل شخصي:

3 عامل بيئي:

وهناك عامل بيئي اكتسب منه حسن البنا توجهه لبناء وحدة الأمة والتركيز عليها، والاهتمام بذلك، فالبيئة التي نشأ فيها حسن البنا بداية من بيت أبيه العالم الكبير، ثم المحيط الفكري الذي نشأ فيه مع العلامة الشيخ محب الدين الخطيب، والشيخ رشيد رضا، ومجلس العلماء الذي كان يجلس فيه، أورثه هذا الأمر، فوالده العلامة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي رحمه الله، ذلك الرجل العالم الذي حَدم مسند الإمام أحمد خدمة جلييلة، غرس الرجل في ابنه هذا المنهج، وأذكر للقارئ موقفاً من حياة الرجل في تعامله مع القضايا التي يختلف فيها العلماء، وكيف تُحل بطريقة التوفيق بين الفريقين، وطريقة التآلف لا التناكر، دون أن يمنع ذلك من قول الحق.

"دارت مساجلة على صفحات العدد الثاني من المجلد الحادي والثلاثين من (المنار) في باب المراسلة والمناظرة، بين السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار والشيخ أحمد محمد شاکر، حول: حديث عن عبد الله بن مسعود في الإعلان عن المنافقين، وهل هو في المسند أم لا؟ وذهب صاحب المنار نقلاً عن "فتح البيان" إلى أن الحديث موجود في المسند. بينما نفى الشيخ شاکر أن يكون موجوداً في أحاديث عبد الله بن مسعود في المسند.

وطرفاً المُساجلة . كما هو معروف . من أعلام الإسلام، فالسيد رشيد رضا رحمه الله هو "راويّة" الشيخ محمد عبده وصاحب المنار، والتفسير والمؤلفات العديدة. والشيخ شاکر أحد الذين عنوا بتحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل وخدمته خدمة دقيقة، فَمُنْذَ استطاع أن يتصدّى للحكم بينهما؟ كتب الشيخ البنا (الوالد) رحمه الله في 17 من صفر سنة 1350 هـ إلى السيد رشيد رضا بالفصل في الموضوع. فالحديث في المسند فعلاً، ولكنه ليس من أحاديث عبد الله ابن مسعود، ولكن من

أحاديث "أبي مسعود" وقدم نصّه والصفحة التي جاء بها الحديث في النسخة القديمة للمسند المطبوع بالمطبعة الميمنية سنة 1313هـ.

وجاء في خطاب الشيخ البنا للشيخ رشيد: "وعلى هذا فيكون ما نقلتموه عن "فتح البيان" من عزو الحديث إلى المسند صحيحًا، والصواب إلى جانبكم من هذه الناحية، وإن وقع تحريف في نقل الرواية من أبي مسعود إلى ابن مسعود، ويكون ما نقله الشيخ أحمد شاكر من عدم وجود الحديث في مسند ابن مسعود صحيحًا أيضًا، والصواب إلى جانبه من هذه الناحية. وإن وجد الحديث في مسند أحمد من رواية أبي مسعود الأنصاري".

وإلى جانب هذا التحقيق الذي دقّ على الشيخين الكبيرين، وفصل فيه الشيخ البنا، فإن ما يثير الانتباه: اللباقة في مناقشة هذه القضية، بحيث إن الشيخ رحمه الله . جعل كلّ واحد منهما مُصَيِّبًا، ولم يُخَطِّئ أحدا منهما في كل ما قال. وهذه اللباقة هي ممّا عرف عن الشيخ رحمه الله، ومما ورثه الإمام الشهيد".³¹

³¹ انظر: خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه ص 37، 38 للأستاذ جمال البنا (شقيق الإمام الشهيد). طبعة دار الفكر الإسلامي بالقاهرة.

ختاما:

نصوص في الوحدة للبنا

(ولقد كنت . ولا زلت . أقول للإخوان في كل مناسبة: إنكم لن تُغلبوا أبدا من قلة عددكم، ولا من ضعف وسائلكم، ولا من كثرة خصومكم، ولا من تألب الأعداء عليكم، ولو تجمع أهل الأرض جميعا ما استطاعوا أن ينالوا منكم، إلا ما كتب الله عليكم، ولكنكم تغلبون أشنع الغلب، وتفقدون كل ما يتصل بالنصر والظفر، بسبب إذا فسدت قلوبكم، ولم يصلح الله أعمالكم، أو إذا تفرقت كلمتكم، واختلفت آراؤكم، أما ما دمت على قلب رجل واحد، متجه إلى الله تبارك وتعالى، آخذ في سبيل طاعته، سائر على نهج مرضاته، فلا تهنوا أبدا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يترككم أعمالكم.

وهل هناك من أزمة حقيقية في موقفنا الوطني الحالي إلا أزمة النفوس، ووهن القلوب، واختلاف الأهواء، وتفرق الآراء، وهل كنا نطمح أن يتقدم الإنجليز أو غير الإنجليز بحريتنا واستقلالنا وحقوقنا في أطباق من الذهب والفضة ونحن عنها نائمون، وفي وسائل الوصول إليها متفرقون مختلفون!؟

لا بد من جهاد طويل مرير شاق متواصل، ولن يكون هذا إلا بوحدة كاملة، وأخوة شاملة، وشعور جامع، بضم القلوب إلى القلوب، والجهود إلى الجهود، واستقامة . مع ذلك . على مناهج الحق، واتجاه سليم صحيح إلى معالم الخير، ويوم يكون هذا فلن تقف عقبة واحدة في طريقنا، ولا بد أن نصل في أقرب وقت بإذن الله إلى حقنا.

إيمان وحب. تتألف منهما وحدة حقيقية، هي أشد ما يحتاج إليه الآن. فهل إليهما من سبيل؟³² مقال وحدة.

فيا أيها المؤمنون بكتاب الله الكريم: هذا كتاب الله يدعوكم إلى الوحدة، وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم عليكم الخلاف والتفرقة.
فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون!؟

اختلفتم في الدين خلاف عصبية وأهواء، وجدال ومرء، لا خلاف تمحيص وبحث واستهداء، فعميت عليكم حقيقته، وفرت من بين أيديكم هدايته، وبقيت في رؤوسكم قشوره وصورته، فكنتم مسلمين بالأسماء والمواطن لا بالقلوب والمواجد، وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

واختلفتم على الدنيا فانتزعها الأجانب من بين أيديكم، وتعاونوا عليها شركات وجماعات ومصارف وهيئات، ففازوا بها من دونكم، واستنزلوكم بفتاتها، ومثوا عليكم بالحقير التافه من أعراضها.

واختلفتم في السياسة شيعاً وأحزاباً وطوائف وألقاباً، فذهبت ربحكم، واستعبدت دولكم، وتمكن العدو من أرضكم، وضرب بعضكم ببعض، ووقف يرمقكم، ويسخر من تنابزكم بالألقاب، وتقاذفكم بالسباب، فكفيتموه أمركم، وأرحتموه من عناء جهادكم، وفعلتم بأنفسكم ما لم يفعل بكم الخصوم: قللتم العدد، وأوهنتم الجلد، وخسرتم المال والولد، ولم تحصلوا بعد ذلك على شيء. دنياكم ذلة وخصام، وأخرتكم تبعات بين يدي الله جسام، فإلى متى والزمن يدور ويجري، والفرص تسنح وتمضي!؟

أيها المؤمنون بالله ورسوله وكتابه: تتادوا بكلمة سواء، وتعالوا إلى منهاج واضح مبين (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) آل عمران: 110.

³² نشرت في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية في العدد (222) من السنة الأولى الصادر في يوم الخميس الموافق غرة ربيع الأول سنة 1366هـ. 23 من يناير سنة 1947م.

وأن نرضى بالله ربا فنفر من المطامع الشخصية إليه، وبالإسلام ديننا فننهج نهجه، ونأخذ عنه، ونطبق كل تصرفاتنا عليه، وبمحمد نبيا ورسولا فنقتدي بسيرته، ونهتدي بسنته، ونسير تحت رايته إلى حيث النصر والسيادة في الدنيا، والجنة والمغفرة في الآخرة.

(فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران: 110.³³

يقلم الشيخ عصام تليمة

³³ نشرت في جريدة (الإخوان المسلمين) في العدد (60) من السنة الأولى الصادر في يوم الجمعة الموافق 13 من شعبان سنة 1365هـ . 12 من يولية سنة 1946م.